

معوقات أداء التعليم الموسيقي في العالم العربي

م. وضاح حسن فليح حسن Wadahhasan135@gmail.com

كلية الفنون الجميلة / جامعة ديالى

تاريخ استلام البحث : ٢٠١٥/١١/١٠ تاريخ قبول النشر : ٢٠١٥/١٢/٧

الكلمة المفتاحية : معوقات Keyword: Obstacles Facung

ملخص البحث :

يتلخص هذا البحث بتحديد أهم المشاكل التي تتعلق بالأداء التعليمي للموسيقى في العالم العربي، فقد تناول الباحث في الفصل الأول الإطار المنهجي للبحث، متمثلاً بمشكلة وأهمية وهدف البحث الذي يتحدد بإيجاد حلول مستقبلية في نمط التعليم، الذي يؤثر على السلوك من خلال تعلم الموسيقى بالطرق الحديثة الجادة، ثم تناول الباحث في الفصل الثاني، الإطار النظري، والمتمثل بدور الموسيقى وعدد من الشواهد التاريخية، وكذلك تاريخ بعض المراكز الموسيقية، ودور الموسيقى والغناء في العصر الجاهلي، ودور الموسيقى والغناء في فترة ظهور الإسلام، وأهم المعوقات التعليمية الموسيقية، ودور العقل في العملية التعليمية الموسيقية، وهذا ما يؤكد ضرورة مزاولة الفن الموسيقي الراقى لتغيير نوق المجتمع باتجاه الصوت الصحيح، والابتعاد عن الفوضى العارمة المنتشرة، فكلما تم تعميم ظاهرة الموسيقى المثالية تختفي ظاهرة الموسيقى التجارية الصاخبة التي ترفضها الذائقة الجماهيرية، كما توصل الباحث إلى عدد من الاستنتاجات، ثم وضع عدداً من التوصيات والمقترحات وأخيراً قائمة المصادر.

Obstacles Facing the Teaching of Music in the Arab World

Inst. Waddah H. Flaeih

Abstract :

This paper aims at identifying the most significant problems concerning the teaching performance of music in the Arab world. In the first chapter, the researcher dealt with the methodology of the paper exemplified by the problem, significance and aim of the study which is marked off in finding the future solutions in the teaching method which is

impacting the behavior via learning music in the serious modern methods.

Moreover, the researcher focused in chapter two on the theoretical frame represented by the role of music and a number of historical instances as well as the history of some music centers, the role of music and singing in the pre-Islamic epoch, the role of music and singing in the Islamic era. The most apparent obstacles in teaching music and the role of mind in the teaching of music all assert the necessity of practicing the elevated art of music to change the taste of the community towards the right voice and detach from the spreading mess in music. Whenever ideal music phenomenon is spread, the commercial, noisy type of music that is rejected by common taste will disappear. Furthermore, the researcher set a number of conclusions and put certain recommendations and suggestions, followed by a list of references.

الفصل الأول

مشكلة البحث

مرّ الوطن العربي بمراحل عديدة ومتغيرة من القبول والرفض والاهتمام بالفن الموسيقي الغنائي على مدى سياسات الحكام وفي مختلف العصور، حتى نشاهد فترة جديدة لمتغيرات الحياة الجديدة في ظل الحريات وتغيير الحكومات ومن حيث المادة الموسيقية النادرة التي تكاد تتواجد فقط في ثقافات العالم العربي.

إن دور الأذن البشرية وقوة التحسس في السماع المدعم بالذاكرة مهمة في تطوير القابلية على تمييز الأصوات التي تنتمي إلى مدارس وتيارات متعددة من الأساليب كل منها تحمل خصائص متفردة، لأن الله عز وجل خلق في الإنسان طاقات هائلة ومتعددة للتحسس والتمييز والتقدير والتخمين والتحليل والابتكار وغيرها من المزايا التي تتفاوت مستوياتها بين الناس، والتي تعمل تحت طاقات التفكير العقلي الإنساني وتصنيف مواصفات الأسلوبية وتحديد القيم الجمالية في جميع الأشياء، فعندما تطرأ على مسامعنا أصوات الطبيعة أصوات الطيور، والعشرات من أصوات الناس الذين نعيش معهم، كل فرد منهم لديه القدرة على تمييز هذه الأصوات لكونها قريبة من مسمعه ومتكررة في حياته اليومية، علماً أن كل من هذه الأصوات تحمل ملامح مختلفة في عملية

التخاطب، وأن سلامة هذه الدورة الحسية وتنشيطها من خلال التدريب والتهديب يضيف للفرد والمجتمع مناخاً صحياً من الهدوء والسكينة والتخاطب والتفاهم والتسامح، وهذا التدريب يجب أن يأخذ منحة رسمية ومنهجية كي يشمل كل أفراد المجتمع في كافة الأقطار العربية، لذا نطمح الى الاجتهاد وعمل نهضة استفاقة لتفعيل دور النشاط الموسيقي، من خلال المراكز الموسيقية وبفكر جديد ومدروس من قبل الجهات المسؤولة رسمياً في هذا الجانب، وتشكيل لجان متخصصة لدراسة هذا التراجع الظاهر على نشاطات السلك الموسيقي في كافة القنوات والمهرجانات وجميع الأنشطة الموسيقية والغنائية، الذي سببه عدم ضخ ملاكات أكاديمية واعية تنشر ما هو نافع وراقي من الموسيقى، وبما أن هذه المراكز ضعيفة الأداء فلا تستطيع تخريج أي ملاك له القدرة على تغيير واقع الموسيقى في العالم العربي، لذا يجب إسهام جميع الكفاءات من الرواد وأصحاب الخبرة من الشباب، لتحديد البدائل المقومة لمفردات ومناهج الموسيقى لكونها أساس عنونة النمط الموسيقي والغنائي وانعكاسه على الساحة الثقافية والنشاط الإنتاجي الإعلامي، فمساهمة العقول الأكاديمية هو أساس هذا المشرع الذي يقوم بمهمة ضخ المعلومات بأساليب تتناسب مع قدرات الطالب التعليمية وثقافته الموسيقية الحديثة، لأن الوعي الموسيقي في العالم العربي اليوم متأخر كثيراً مع العالم الذي يتخذ من الثقافة الموسيقية معنى للإنسانية وسلامة منهج الحياة وسعادة المجتمع. فاللغة الموسيقية لديهم من ضرورات التربية الثقافية فيدرسها الفرد من طفولته وحتى مراحل متقدمة، لأن الموسيقى تخلق مجتمعاً مسالماً ومفكراً، لذا وضع الباحث عنوان بحثه بالشكل الآتي:- (معوقات أداء التعليم الموسيقي في العالم العربي).

أهمية البحث

يعد هذا البحث من الدراسات المهمة لكونه يتناول حيثيات الأسس الفكرية الموسيقية وأهميتها في الحياة الإنسانية لبناء مجتمع مثقف لديه من الوعي الحسي اتجاه تراثه وفنه وربطها بأهمية تدريس الطلبة فن الموسيقى بالطرق الجادة والنموذجية، ذلك من خلال وضع مناهج علمية حديثة تقترحها لجنة متخصصة ومحكمة.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث الى :-

١- الكشف عن المعوقات التي تعوق أداء التعليم الموسيقي في العالم

العربي .

٢- كيفية تجاوز هذه المعوقات من خلال التجارب الشائعة .

الفصل الثاني - خلفية نظرية

دور الموسيقى في عدد من الشواهد التاريخية

لقد شهد الفن الموسيقي والغنائي مراحل مختلفة وكثيرة من التطور عبر التاريخ، وذلك اعتماداً على واقع الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي مر بها الإنسان في مختلف تلك المحطات الزمنية، ففي العصر ما قبل الجاهلي ترك سكان العراق القدماء نصوصاً مسمارية وآثار ونقوشاً والآت ومنحوتات ولقى أثرية تمثل الحياة الموسيقية في تلك المراحل، كانت خير عون للعلماء المختصين لتحديد ووصف الفن الموسيقي في العراق القديم، ومن هذه الشواهد، كسرة من لوح حجري وجد في مدينة (تلو)، عليها نحت بارز لمشهد يشترك فيه عازف على الكناره، ووجد لوح طيني من مدينة (أشنونا) موجود في متحف اللوفر في باريس وهو عبارة عن رجل جالس يعزف على آلة الجناك الوترية، كما يوجد في المتحف نفسه ختم أسطواني يعود للملك الكيشي (كوريكالزو) نقش عليه مشهد لعازفين الأول يعزف على العود ذي العنق الطويل، والثاني على آلة مستطيلة تسمى كنارة يدوية، كما نجد أهمية الموسيقى في العراق والاهتمام بالموسيقين من قبل الملوك، فقد ورد في نص مسماري يقول: إن أطباء أحد الملوك الكيشيين كانوا يقدمون له التقارير الطبية عن الحالة الصحية لبعض الموسيقين والمغنين والمغنيات، أما في العصر الآشوري الذي يتحدد في الفترة (٢٠٠٠ - ٦١٢ ق.م)، فتوجد منحوتة جدارية من الألبستر عثر عليها في قصر الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م) في نمرود وموجودة في المتحف البريطاني في لندن تمثل عازفين يحملون آلاتهم على جنبهم الأيسر، ونعتقد إن العازف في هذه الجدارية كان يضع آله على جنبه الأيسر لكي يعزف بيده اليمنى كما هو الحال في الوقت الحاضر لآلة الكمان والعود والجوزة وغيرها، كما نجد في جدارية أخرى تعود للملك الآشوري سنحاريب مشاركة ثلاثة عازفين على الدف والمربع وعازفة واحدة على الكوسات (الصنوج) ذات المقبض الطويل يتقدمون صفاً من المحاربين الآشوريين وهم في حالة المسير نحو ساحة النزال .. يبدو أن سبب وجود آلات موسيقية إيقاعية هو ملاءمتها لأجواء الحرب التي تحتاج إلى الأصوات الدافعة والمشجعة لرفع معنويات وحماس الجنود لدخولهم ساحة القتال، ونلاحظ من الأثر إسهام المرأة مع الفرقة الموسيقية المرافقة للجيش في المعركة مما يدل على دورها البارز والفعال في المجتمع.

تاريخ بعض المراكز الموسيقية

إن الوضع الذي قدمت فيه الإشارات الى المعرفة بفن الموسيقى يؤشر المنهجية في دراسة الفنون والعلوم في تلك العصور، فأن مدارس الموسيقى قد تنوعت كما تنوع تدريسها في العراق مع الزمن، فإلى جوار تدريسها في

مدرسة المعبد أخذت تدرس في مدرسة القصر الملكي ولعل هذا قد حدث في العصر السومري الحديث (٢١٠٠-١٩٥٠ ق.م)، استناداً إلى بعض الكتابات المسمارية، كما توجد وثائق حفظت لنا من العصر البابلي القديم (٢٠٠٣-١٥٩٤ ق.م)، نستدل على أهمية اكتساب المعرفة الغنائية والتربية الموسيقية لأسباب ربما كانت محددة للأميرات القصور الملكية، فمن بين الرسائل الضخمة لرسائل المحفوظات الملكية بماري خطاب من الملك شمس أداد الى ابنه يقترح إرسال بنات ياهدون إلى قصر شوباط - انليل كي يتعلمن الغناء .. ومن المؤكد أن تاريخ العراق مليء بالمادة الموسيقية التي لم تصل بالشكل المطلوب بسبب تأثير عوامل التعرية واندثار معالمها، كذلك أهمية الموسيقى في المجتمع العراقي القديم.

دور الموسيقى والغناء في العصر الجاهلي

بعد سقوط مدينة بابل عام (٥٣٩ ق.م)، عاش العراق حياة مضطربة سادها التدهور السياسي والاقتصادي والثقافي بسبب النزاعات المستمرة في مدة تاريخية سميت (بالجاهلية)، والممتدة بين القرن الأول والسادس الميلادي، وسميت بالجاهلية بسبب جهل المجتمع آنذاك تعاليم النبي محمد (ص)، أما الفن الموسيقي والغنائي فقد لعب دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية، إذ كان سوق عكاظ منبراً للشعراء والموسيقيين لاستعراض إبداعاتهم للمنافسة فيما بينهم، كما حصل موسيقيو الحجاز على التقدير والإعجاب من قبل القصور الملكية الأخرى، وكان العراق لا يزال قادراً على الفخر بالمدن الكبيرة المزدهمة بالكلدانيين والآراميين واليهود على الرغم من اختفاء مدنه البابلية الآشورية العظيمة، وكان به قدر كبير من الثقافة السامية القديمة، ففي القرن الثالث الميلادي تحركوا شمالاً إلى الجزيرة العراقية وأقاموا في البلاد المسماة بعراق العرب جاعلين الأنبار التي سميت الحيرة فيما بعد مدينتهم الأولى ومن الحيرة أستعار الحجاز غناء أكثر فنية من النصب الذي كان مستعملاً حتى ذلك الوقت ويذكر الباحث مجدي العقيلي: (أن الغناء في هذا العصر كان مقتصرًا على مجالس الملوك والأمراء وفي ندوات الأدباء والشعراء. وقد لعبت المغنيات (القيان) في هذه المجالس دوراً كبيراً فكن يشتركن في الغناء في مناسبات مختلفة وكان وجودهن في بيوت الترف والعز مظهراً من المظاهر الاجتماعية الراقية). ويذكر هنري جورج فارمر: (أن المؤرخين العرب يدعون بأن الحداء أول الغناء ويرجع أصله إلى مضر بن نزار بن معد، وظهر من الحداء النصب).. أما المرحوم حسين قدوري فرأيه: (إن الأديان في الزمن القديم كانت عبارة عن طقوس لها صفة رمزية، فالعربي الذي يقدر الهته المحلية أو كان يتقرب إليها بالأنشيد والترتيل، ولذا فإن الإدعاء القائل بأن الحداء أصل الغناء العربي هو إدعاء لا يقوم على أساس العلم والمعرفة). وقد لعبت المغنية دوراً

مهما في الحياة الموسيقية في العصر الجاهلي، فيذكر الدكتور صبحي أنور رشيد: (إن نساء القبائل كن يشتركن في غناء وموسيقى الأعياد، وكذلك في المراثي والنوح والرقص)، واستخدمت مجموعة من الآلات الموسيقية في العصر الجاهلي منها (العود والبربط والصنج والمربع والموتر الجنك والمعزفة والناي)، وبعض الآلات الإيقاعية (الطبل والدف والصنوج والجلجل)، ومن أسماء الموسيقيين والمغنين في العصر الجاهلي (الأعشى بن ميمون بن قيس والمتوفي سنة ٦٢٩م تقريبا، كان عازفا للصنج، وأبن الحارث كان موسيقيا بارزا، وجرادتا عاد المشهورتان واسميهما (هزيلة وغيرة)، وهما مغنيتان من بني جديس، وأم حاتم الطائي كانت شاعرة، والخنساء شاعرة الرثاء كانت تغني بمصاحبة الموسيقى، وهند بنت عتبة كانت شاعرة وموسيقية، وبنت عزة كانت مغنية، وهريرة وخليدة كن يغنين لبشر بن عمرو أحد أشرف الحيرة (٦٠٢م تقريبا).

دور الموسيقى والغناء في فترة ظهور الإسلام

يعد التحول التاريخي والفكري والإنساني بعد ظهور الإسلام سنة (٦١٠م)، بالغ الأهمية جراء التحول الثقافي والنظرة المختلفة عما كانت في السابق اتجاه الفن الموسيقي والغنائي، إذ تم توظيف الأداء اللحني بقوالب وصيغ دينية جديدة، أهمها تلاوة القرآن وأداء الأذان والتهليل والتلبية، كما أخذ الفن الموسيقي والغنائي مكانا في الأعياد العامة الإسلامية مثل الأفراح الباقية لليوم في عيد الأضحى وعيد الفطر ويوم عاشوراء والموالد المختلفة وكذلك في الأفراح والمناسبات الأخرى، وأبيحت أناشيد الحج كالتهليل والتلبية وآلتها بعد أن شكلت لتلاءم الإسلام وأغاني الحرب التي تحث على حرب الكفار والتي تبث الشجاعة وتثير الحمية والغضب على الكفار والتي تنظم أشعارها على طريقة الرجز، ومن المبدعين البارزين في هذه المدة، يذكر (فارمر) مجموعة منهم (بلال بن رباح) فهو من أجمل الأصوات وحسان بن ثابت وشيرين وعمرو بن أمية الضمري وقد كان عازف على الدف وحمزة بن يتيم .. ولم يتغير الطابع العام في الانتقال إلى عصر الخلفاء الراشدين في هذه الفترة فيذكر (شوقي) أن الغناء لم يتسع في عصر الخليفة أبو بكر والخليفة عمر (رضي الله عنهما) وأتسع في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) إذ هدأت الفتوحات الإسلامية، أما في عصر الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد توقفت حركة الموسيقى والغناء قليلا لانشغال المسلمين بالحروب.. بينما نجد (فارمر) ينفي ما قاله شوقي بخصوص عصر الخليفة علي (عليه السلام) فيقول: (كان علي نفسه (٦٥٦-٦٦١) شاعرا، وكان أول خليفة أضفى حمايته الحقيقية على الفنون الجميلة بسماحه دراسة العلوم والشعر والموسيقى، وكان أحمد النصيبي من الكوفة أول من مارس الغناء في أيام الخلفاء الراشدين وأول من أشتهر بالضرب على الطنبور والغناء)، وقد

أشتهر عدد من الموسيقيين المبدعين أمثال طويس وسائب خاثر وعزة الميلاء، وغيرهم وكان طويس أول موسيقار ظهر في الإسلام.. وبعد انتقال عاصمة الخلافة من المدينة إلى دمشق عندما استلم الأمويون الحكم للمدة (٦٦١-٧٥٠م)، فقد هيا هذا الانتقال ظروفًا أفضل للتقدم من الناحية الثقافية والفنية وجوا مناسبًا لازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية فقد حظي الغناء في زمان بني أمية حظوة كبيرة كان من مظاهرها أنهم كانوا يعقدون مجالس الأُنس والطرب في قصورهم، فأستقبل ابن سريج ومعبد في دار الخلافة الأموية استقبالًا يفوق استقبال الشعراء احترامًا وشرفًا وفي ذكر من غنى من خلفاء بني أمية كيزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد ومروان بن الحكم، ويعد الحيري أول من أدخل ميزان السناد إلى العراق وكان يغني الهزج ومن أبرز الموسيقيين والمغنين للعصر الأموي هم ابن مسجح وابن سريج وابن محرز والغريص ومعبد وجميلة وسلامة القس وحبابة كذلك الأحوص وابن أبي عتيق وأبو محجن وعمر بن أبي ربيع وحارث بن خالد المخزومي وسعيدة وبلبله وفرهة وربيحة وخليدة .

وشكل العصر العباسي ظاهرة حياة جديدة على كل المستويات، إذ وضعت الفنون والأفكار في مقدمة إدارة الحياة ويقسم هذا العصر إلى ثلاث مراحل هي (العصر الذهبي ٧٥٠-٨٤٧ م) و(عصر الانحطاط ٨٤٧-٩٤٥ م) و(عصر السقوط ٩٤٥-١٢٥٨ م)، وتوجد في كل مدة الكثير من الأحداث التاريخية المهمة وأبرزها ما حدث في العصر الذهبي، ففي عام (٧٦٢ م) تم بناء مدينة بغداد كذلك تأسيس بيت الحكمة، وبرز علماء في مختلف العلوم وبرز أمهر العازفين والموسيقيين، فيذكر فارمر: (أن بغداد لم تصبح عاصمة الإمبراطورية ومركز العالم الشرقي فحسب ولكن موطن الفن والأدب والعلم بل جميع أنواع النشاط الفكري حتى بلغت روعتها وفخامتها مبلغ الخرافات)، وكتبت بغداد أروع صفحات تاريخ الموسيقى والغناء العربي في هذا العصر من حيث التأليف العلمي النظري والعملي والبحث الأصيل، فقد شيدت فيها المدارس والمعاهد والقصور الفخمة وانتشرت دور الكتب العلمية والأدبية وصارت بغداد مكانًا للمفكرين والمتقنين والشعراء من جميع أنحاء العالم وأصبحت مركزًا بارزًا للآداب والعلوم، كما تم توثيق هذه المدة من قبل المفكرين بشكل جيد فتقدم إسحاق الموصلي بصفته الموسيقي الأول في عصره لوضع وتحديد العلم المهمل منذ عهد يونس الكاتب في أيام الأمويين وأن الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو من أشهر علماء عصره أول من كتب الرسائل العلمية في علم الموسيقى في كتابيه (النغم والإيقاع)، وأهم من ذلك كله رسائل الكندي المشهورة كما وتميز العصر العباسي باحتضان الخلفاء لرجال الفكر والفن ومبدعيه ومؤديه وذلك ضمن حماسهم الشديد لرفع مستوى مكانة مركز حكم دولتهم وكان بين الخلفاء الشاعر والملحن وعازف العود هارون الرشيد والمأمون والمعتمد

والواثق وكانت مجالسهم ملتقى لرواد الفكر والعلم والآداب والفن.. ويضيف أبن الطحان ممن غنوا من الخلفاء (الأمين والمأمون والمتوكل والمعتضد وإبراهيم بن المهدي، ومن بنات الخلفاء: عليّة بنت المهدي وأم أبيها بنت الرشيد وحمدة بنت الرشيد وأم عبد الله بنت علي وليلى بنت علي بن المهدي وفاطمة بنت عبد الله بن موسى).. فوصلت الموسيقى في العصر الذهبي إلى ذروتها إذ مارس عدد كبير من المغنين والعازفين أمثال زلزل وأبن جامع وإبراهيم الموصلي وأسحق الموصلي وإبراهيم بن المهدي وزرياب ومخارق وعليّة بنت المهدي والكندي ودنانير والفارابي وابن سينا وغيرهم.. كما تقدمت الموسيقى العربية في بغداد في العصر الذهبي بفعل الهدوء السياسي والثروة الصناعية وسيادة الثقافة العلمية الإغريقية بعد تأسيس بيت الحكمة الذي عد نقطة إشعاع فكري وبداية احتكاك ثقافي مع العلوم والفنون والآداب الأجنبية.. أما في عصر الأنحطاط فهي مرحلة انتقال سادها التدهور السياسي في تنظيم الحياة فكان المتوكل (٨٤٧-٨٦١) أول خلفاء هذا العصر ومع وجود الخلل السياسي إلا ان الغناء ما يزال مستمرا ولم يظهر من يمنع ممارسة الموسيقى لأن الخليفة كان متيما بذلك ومن أبرز الموسيقيين والمغنين في هذه المدة عمرو بن بآنة وأحمد بن صدفة وبنان بن عمرو وأبو علي الحسن المسدوه وعبد الله بن أبي العلاء وعمرو الميداني وابن القصار وجحظة البرمكي ومحبوبة وفريدة وقمر.. أما عصر السقوط فهي المدة الأخيرة للعصر العباسي فصارت الخلافة سريعة الخطوات نحو الانهيار وكان الارموي الذي شهد سقوط بغداد على يد المغول مهتما بتدوين الإلحان والإيقاعات من خلال قياسات فنية استعمل فيها الحروف الأبجدية والأرقام العربية واكتسبت هذه المرحلة تسميتها من مقارنتها بما وصلت إليه الدولة العباسية في العصر السابق.

الفصل الثالث

المعوقات التعليمية الموسيقية في العالم العربي

تعتبر العملية التدريسية من أهم وأخطر الوظائف، لكونها المهنة الرسائلية التي تبت وتغير مفاهيم بذور المجتمع نحو أهداف محددة وخلق مواصفات النشأة الصحيحة لأفكار إنسانية توقي نفسها أولا من الانحدار نحو منافذ غير مشروعة، وثانيا تخدم المجتمع خدمة صالحة تحت خيمة التعاليم الإسلامية والأعراف الاجتماعية في كل المجالات العلمية والإنسانية.

أن هذه الوظيفة المقدسة تعتمد على مواصفات صحية، أهمها الموهبة الربانية التي تنجب الإنسان القيادي الذي يصلح للكثير من المهام الإدارية الرائدة ومنها الحرفة التدريسية، لأن المدرس الناجح لا تصنعه المناهج، تساعد على تقويته واختيار أفضلها لاستثمارها وتطبيقها للخروج بنتائج إيجابية، فبدون

الموهبة لا يصلح الفرد أن يكون مدرسا حتى لو هضم كل مناهج أصول التدريس.

تعتبر الومضة الأولى التي جعلت الإنسان يتمتع بنظرة تركيبية تستحق إن تدخل مناهج النظريات الجديدة هي نظرتة إلى الفلك وعمق السماء والتمعن في حركة الكواكب والغوص إلى أعماق البحر كذلك دراسة الحياة النباتية والحياة الحيوانية والتضاريس.. الخ. وهكذا صار الإنسان يتنافس فيما بعد عالميا في تنظيم العديد من الأساليب التدريسية في الموسيقى وغير الموسيقى وكيفية إيصال المادة إلى المتعلم ومتابعة الطرق التدريسية التي تتطور يوما بعد يوم حسب متغيرات الحياة.

لو أجرينا فحصا دقيقا للعملية التدريسية داخل الكليات والمعاهد الموسيقية في العالم العربي اليوم سنجد عدد كبير من التدريسيين هم غير مؤهلين على خوض هذه المهنة لكونهم لا يملكون الوسيلة الثقافية والكفاءة التي تساعدهم على إخراج النتائج المناسبة من الصف ليساهموا فعليا مع الواقع الحياتي الجديد، فكريا وإبداعيا وتبديل الجهل بالعلم والفراغ بالمادة العلمية الرصينة. لأن أهم مواصفات المدرس الجيد هو القدرة على توصيل المنهج للطالب والسيطرة على الصف ومحاكاته إحيائيا لتثبيت المادة، وتوفر الشخصية الثابتة والمتزنة والمرنة مع جميع عينات الصف وسلوكياتهم المتباينة تحت مختلف الظروف المتوقعة وغير متوقعة من هذا الحقل التعليمي.

أن العملية التدريسية في الموسيقى لا تختلف عن القواعد العامة في المناهج التدريسية الموسيقية النظرية التي تشمل: (النظريات، الصولفيج، التاريخ بمختلف عصوره، التحليل الأثنوموزيكولوجي، الهارموني، الكونترابونت، الفلكلور، علم الآلات، علم الفورم... وغيرها)، كلها تحمل تسلسلا تاريخيا في الوصف والمعلومات تختلف بحسب مراحل العصور، وهذه المناهج تتناول الجانب الموسيقي الغربي والعربي الغنائي والآلي، الفردي والجماعي، ونقصد بما تقدم أن هناك مناهج مكثفة ومنظمة محمولة من قبل الأستاذ بجدية وحب المهنة والنظر للطلاب كحقل ينتظر ثماره، أما في الوقت الحاضر فقد تغيرت المفاهيم وصارت الحلقة التعليمية في جميع المجالات ضعيفة النتائج، لأن العملية التعليمية المثالية هي برمجة مفردات مقسمة على زمن وهي نتاج تجارب كثيرة من قبل مختصين للوصول الى أفضل الطرق التي تخدم العملية التدريسية التعليمية اعتمادا على نوع (البيئة والعمر والحالة الاجتماعية والنفسية وعوامل كثيرة)، وتختلف هذه الطرق حسب المادة والمرحلة والواقع الحياتي، لكنها تتشابه في كل العالم من حيث الشكل والخطوات العامة لما تعتمدها وواجبات المدرس التحضيرية، باختلاف تلك المحفزات ونوعية المواد المتوفرة من قاعات ومناخ صحي ومن آلات موسيقية

ذات كفاءة عالية تلك المادة المركزة لصناعة منظومة فكرية مستعدة للتقدم عمليا وثقافيا فتخدم المجتمع خدمة مستقبلية حقيقية .

والجانب الآخر الذي يعتبر من أهم الجوانب التطويرية، التدريس العملي ويعد ضمن المواد المنهجية التالية (الآلة العملية الفردية، الآلة الثانوية، مبادئ القيادة، الأداء الجماعي، تربية الصوت والسمع ... وغيرها) فهي تعتمد على مدرس يحمل المواصفات التي ذكرناها سابقا فضلاً عن مؤهلات أخرى أدائية تخصصية وأن يكون متمكن في هذا الجانب إذا كان في الأداء الآلي أو الكورال أو الصولفيج . وغيرها، لأن هذه المواد العملية في الغالب تدرس بشكل فردي وليس جماعي، وحتى إن كان جزء منها يدرس جماعي فيكون بعدد قليل من الطلبة، كي يأخذ كل فرد حيز كبير من الوقت للتعلم الجاد .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المتغيرات الحياتية السلبية في الوطن العربي والظروف التي تعيشها المجتمعات، وقلة كفاءة الدائرة التعليمية (الأستاذ، الطالب، المنهج، الإدارة... وغيرها) تعيش مظهراً من مظاهر الضغط النفسي، والمؤثرات المتعددة، مما يعكس ذلك على العطاء في كل عناصر الحلقة التعليمية الموسيقية فنجدها متلكئة كثيراً، وسينعكس ذلك الترهل على الحركة الموسيقية في عموم العالم العربي، وهو خطر لا يختلف عن أي غزو متأن بارد الأعصاب هدفه محو ثقافة أمة عريقة بمعانيها وصورها المقبولة، وهذا ما تصبو إليه السياسات المغرضة الدخيلة التي تهدف لتدمير هذه البلدان ثقافياً وسلوكياً.

دور العقل في العملية التعليمية الموسيقية

إن منظومة العقل البشري عبارة عن منجم من الطاقة الهائلة والتي تعادل قوة بركان هادئ تحت قشرة الأرض مع فارق وجه المقارنة بين هذه المنظومة ووظائفها الحياتية وذلك الجحيم المدمر، فإذا تنشط عدد آخر من الخلايا في الدماغ، تصبح مداركنا العقلية خارقة ذلك الواقع الإعجازي وجبروت ذلك النشاط الذي يمكنه أن يفعل ما هو مستحيل، هذا ما اخبرنا عنه السابقون واللاحقون من خبراء الجراحة الدماغية والمختصون في هذه الدائرة التفكيرية المهمة .

إن مؤثرات السطح الخارجي على تلك المنظومة متنوعة المناهج وتساعد على إيقاظ عدد من الخلايا النائمة، ومن هذه التأثيرات: (المعاناة، الجوع، الألم، الحاجة، الفقر.. وغيرها)، هي محفزات فطرية غير محسوبة وفق اللامنهجية لمساعدة هذه المنظومة، وإذا استذكرنا الأسماء البراقة من علماء ومفكرين ومنظرين في أي زمان سنجد أغلبهم من الفقراء. ويمكننا مساعدة هذا الجهاز بدون إدخال جراحي لا يقاض تلك الركائد المدونة على حساب نوم بلا عمل، بطريقة سهلة لا تحتاج سوى الجدية والقناعة في نتاج مضمون بطيء،

فالموسيقى واحدة من أهم الطرق التي تلعب دوراً مهماً في تغيير واقع عمل هذه المنظومة وطبيعتها وذلك باستعمال نوعاً خاصاً من الموسيقى تساعد في دور الموجه الجراح الذي يخترق قلب ذلك النظام الجبار في إيقاظ بعض تلك الخلايا الكسولة لتدخل في الدورة التفكيرية وتوسيع نظام نشاطها، أما نوع الموسيقى، فقد تكون بلا ميلودية، عدد من الأصوات المبعثرة لتؤدي دور المحاكاة الرمزية الصوتية، أو استخدام خاصية الضلال الديناميكية، أو الأصوات التعددية، وطرحها بدراسة تجريبية علمية.

دور القنوات الفضائية في تأخر نمو العملية التعليمية

تلعب القنوات الفضائية دوراً كبيراً وفعالاً في تغيير مفاهيم كبيرة داخل المجتمعات من حيث الذوق العام والثقافة والموديلات وسرعة الإيقاع، وفي حقيقة الأمر تغيرت نظرة المجتمع في الآونة الأخيرة للموسيقى بسبب الطرح الغنائي التجاري المتدني من قبل عدد من القنوات التي تهدف لتخريب وتهديم الحضارات والثقافات الأصيلة.

وقد اختلفت الثقافات بين عصر وآخر من حيث الحاجة وتلبية مستحدثات ومناطق الراحة للإنسان التي تقلل الضغوطات من حوله امتداداً لذلك الإنسان القديم الذي كان يخفي عورته بوريقات الأشجار.. أما في عصورنا هذه نجد التحول في مجمل قنوات الحياة فكل شيء صار تحت تلبية الأمر.. وبعدها صارت قبائلنا تتباهى بشكليات الحياة.. نوع جهاز الموبايل ونوع السيارة وموديلات الملابس وغيرها.. كل هذا يبسر عملية التبدل الفكري والثقافي وبتحول نظرة الإنسان للمادة الموسيقية لكونها جزء من متبدلات الحضارة وصار الملحن والمطرب والشاعر يتماشى مع ذوق هذا الإنسان المتحول.. فنجد اختلافاً كبيراً بين تلك الأعمال القديمة التي تتمتع برائحة وطعم خاص، تكاد تكون لاصقة في الأذهان لا تنسى.. بينما نجد الأعمال الحديثة والكثيرة، قصيرة العمر لكونها خالية من مقومات الفن والإبداع والاحتشام.. فأصحابها نوع واحد لا يقرأ ولا يكتب.. لا يختلفون عن ذلك الإنسان الذي يسكن بين الكهوف ويملك الانترنت للرياء انه مستمتع بالمتكرر بالإيقاع الذي يطفئ ركود جسده المستبرد.. الإنسان الأصيل يتقن بالبقاء الممزوج بالإبداع وهذه صفة الديمومة.

ثم إن اللحن القديم يبقى أقدم من ملحنو الحان اليوم لكونه محاك بعمر الإحساس والصدق والأداء ولم يكن دور المرأة غطاء لفشل اللحن فيملاًنه أجساداً عارية ليتحول الصوت بلا معنى وتأخذ الصورة دوراً في استقبال العمل الفني نجاحاً مؤقتاً من دون احتشام.. كانت المرأة شيئاً أنبل من ذلك العنوان، كأننا جميلاً يستحق التغزل به بأدب واحترام وهذا ما تعكسه الصورة والصوت والكلمة وطريقة الأداء في السابق.. طبعاً هذا لا ينطبق على جميع الفنانين في الوقت الحاضر فهناك من الفنانين يلجأون إلى أسلوب ذلك النهج المحترم

مستعنين بالأعمال الغاصة بالحياة المتماشية والمقبولة بين الأسر بين بيوت لها طقوسها تستمتع بها بشرعية.

فضلاً عن تغيير عدد من المنتجين لبعض الأعمال القديمة الأصيلة كإضافة الرقص والأجساد والفوضى وتسريع الإيقاعات الى حالة استعراضية مجردة من الإحساس والصدق، وهذه مشكلة أكبر في طمس الأصل بالدخيل الهابط ..

تعد هذه الظروف التي تناولها الباحث من أساسيات الضعف الواضح لعدم وجود توجيه وتعليم حقيقي للموسيقي والملحن والموزع لكونهم جزء أساسي مرتبط بالمراكز التعليمية .. ونسبة قليلة من بين هؤلاء هم هواة لم يندرجوا الى التعلم في تلك الوسائل التعليمية .. ونجد من بين هؤلاء المنفذين لتلك الخزعات الشاذة من نفس الكوادر التدريسية وهذه هي الطامة الأكبر، فلا بد من حلول تتبع مع ضمير حي مفادها المصلحة الوطنية على سبيل المثال:-

١- وضع شروط وأحكام لأجازة الأعمال الموسيقية والغنائية قبل تسجيلها وبثها في القنوات الفضائية وطرحها في السوق . وشروط القبول تكون موحدة في جميع الدول العربية من خلال اللجنة الوطنية للموسيقى.

٢- عمل نظام جديد في كل أنحاء الوطن العربي لتحديد ماهية التخصصات الموسيقية من خلال الهويات خاصة، عازف أو مدرس أو باحث، أو قائد، وهذا النظام معمول به في عدد كبير من الدول العالمية والمقصود بذلك إسهم الجميع بالعمل.

٣- تحديد المحفزات للمدرس الموسيقي بعد اختباره بدقة من قبل لجنة محكمة وبعلمية كبيرة.

٤- تحديد القنوات الفضائية بغرامات وعقوبات جزائية في حالة بثها أعمالاً غير مجازة وذلك من خلال الاتفاق الرسمي بين المراكز التعليمية الرسمية أو اللجان الوطنية للموسيقى وبين تلك القنوات.

النتائج :

وجد الباحث من خلال ما تقدم عددا من النتائج تلخصت ب:-

أولاً - معوقات تخص مدرس او معلم الموسيقى :-

١- عدم التخصيص .

٢- ضعف الكفاءة والقابلية .

٣- عدم التفرع للعمل الموسيقي (تعليم الموسيقى) .

ثانياً :- معوقات تخص منهج تعليم الموسيقى :-

١- عدم التركيز على النظريات الموسيقية والصولفيج .

٢- عدم استخدام التحليل الاثنوموزيكولوجي .

٣- عدم تدريس الفولكلور .

ثالثاً:- معوقات تخص طرق تعليم الموسيقى :-

- ١- عدم تدريس الآلة الفردية .
- ٢- مشاكل في الاداء الجماعي .
- ٣- مشاكل في تربية الصوت والسمع .

الاستنتاجات

في ضوء نتائج البحث استنتج الباحث جملة من الاستنتاجات :-

- ١- ضعف التدريسي أو معلم الموسيقى من الناحية التربوية في توصيل المعلومة الى الطالب.
- ٢- ضعف التدريسي أو معلم الموسيقى من الناحية الموسيقية وعدم قدرته بتزويد الطالب بتمارين وإمكانات موسيقية ترتقي الى مراحل متقدمة.
- ٣- ضعف التدريسي أو معلم الموسيقى من الخبرة الأدائية في إقناع الطالب وتحريك مواهبه ودفعه لتغيير واقعه الأدائي.
- ٤- الخطأ في اختيار الطالب المتقدم لدراسة الموسيقى أما بسبب ضغوطات إدارية أو مصالح نفعية أو المجاملات أو أسباب أخرى ... فيشتت ذلك التفاوت بين المستويات لدى الطلبة مما يؤدي الى عدم الاستفادة وعدم التطور لأنه خالي من المؤهلات التي تساعد على التقدم في فهم المعلومات.
- ٥- الاجتهاد في وضع المفردات في عدد كبير من المناهج الموسيقية وعدم الاتفاق على وحدات ثابتة تحسب وتدرّس بشكل علمي أكاديمي.
- ٦- الحالات الدخيلة (الكوارث الطبيعية والكوارث البشرية) فهي من الأسباب الرئيسية التي تعطل حركة التعليم بجدية لكونها عملية حسية نفسية تحتاج الى استقرار من خلال المثلث التعليمي.
- ٧- تعتبر القنوات الفضائية من أهم أسباب تغيير مفهوم الموسيقى والغناء التجاري منه على الجاد من خلال طرح الفاسد الكثير الذي يزيح الراقي القليل فينعكس ذلك المفهوم على المراكز الدراسية لطرح ما هو مطلوب كأحكام المعيشة والاسترزاق.

التوصيات

- ١- تقويم التدريسي أو معلم الموسيقى من الناحية التربوية لتوصيل المعلومات الى الطالب وبطرق حديثة.
- ٢- تدريب التدريسي أو معلم الموسيقى من الناحية الموسيقية وتطوير مهاراته وقدراته العملية.
- ٣- تطوير التدريسي أو معلم الموسيقى بمادة علم النفس.
- ٤- عمل لجان جادة في اختيار الطالب المتقدم لدراسة الموسيقى.
- ٥- تحديد المناهج المثبتة والمفردات غير القابلة للتغيير والاتفاق على وحدات ثابتة تحسب وتدرّس بشكل علمي أكاديمي.

٦- تأسيس عدد من القنوات الفائية الهادفة والتي تطرح الموسيقى الجادة

المقترحات

يقترح الباحث اجراء دراسة مماثلة تهتم بمعوقات اداء التعلم الموسيقي في العراق مع وضع الحلول العلمية لتجاوز هذه المعوقات نهوضاً بالواقع التعليمي الموسيقي العراقي .

المصادر والمراجع

١. ابن الطحان، أبو الحسن محمد بن الحسن: *حاوي الفنون وسلوة المحزون*، تحقيق زكريا يوسف، بغداد: دائرة الفنون الموسيقية، ١٩٧٦م.
٢. الاختيار، نسيب: *الفن الغنائي عند العرب*، بيروت: (دار بيروت للطباعة والنشر)، ١٩٥٥م.
٣. الأسد، ناصر الدين: *القيان والغناء في العصر الجاهلي*، مصر: (دار المعارف)، ١٩٦٩م.
٤. البكري، عادل: *صفي الدين الأرموي مجدد الموسيقى العباسية*، بغداد: (وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية للطباعة)، ١٩٧٨م.
٥. الجابري، وليد حسن عبد الحسين: *التوظيف الفني للنغم والتعبير في تجويد القرآن الكريم*، اطروحة دكتوراه، بغداد: (جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، قسم الفنون الموسيقية)، ٢٠١٥م.
٦. الحنفي، جلال: *مقدمة في الموسيقى العربية*، بغداد: (دار الحرية للطباعة)، ١٩٨٩م.
٧. الرجب، هاشم محمد: *الموسيقيون والمغنون خلال الفترة المظلمة*، بغداد: (منشورات المركز الدولي لدراسات الموسيقى التقليدية، دار الحرية للطباعة)، ١٩٨٢م.
٨. صبحي أنور رشيد: *تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم*، الطبعة الأولى، بيروت: (المؤسسة التجارية للطباعة والنشر)، ١٩٧٠م.
٩. طارق حسون فريد: *تاريخ الفنون الموسيقية، الجزء الأول*، بغداد: (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة دار الحرية للطباعة والنشر)، ١٩٩٠م.
١٠. طارق حسون فريد: *ملاحظات حول تاريخ الموسيقى العربية*.
١١. العقيلي، مجدي: *السماع عند العرب، التراث الموسيقي العربي في مختلف العصور، الجزء الأول*، الطبعة الأولى، دمشق: (د.ن).
١٢. فارمر، هنري جورج: *تاريخ الموسيقى العربية، ترجمة حسين نصار، سلسلة الألف كتاب، القاهرة: (دار الطباعة الحديثة)*، ١٩٥٦م.